رسائل الصمود والأمل

شام محمود

أسنّة الضياء

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل

الصمود والأمل

شام محمود

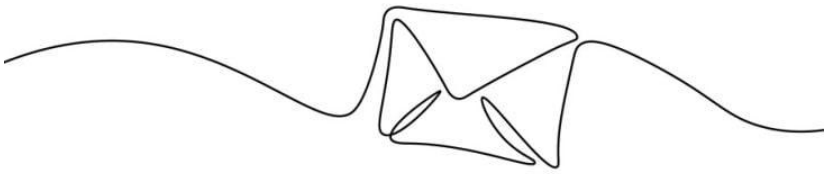

أسنّة الضياء

الإهداء

إلى غـزة، أيقونـة الصـمود ورمـز التحـدي، إلى مـن علّمتنـا أن الأمـل يولـد مـن رحـم الألم، وأن الحياة تستمر رغم كل ركامها.

إلى كـل روحٍ طـاهرةٍ ارتقـت في سمائـكِ، خصوصًـا نـوران، الـتي كانـت كلماتُهـا نـورًا يُضيء عتمة لياليا، وعهدًا بأن صوتَ الحق لن يصمت أبدًا.

إلى كـل قلـبٍ آمـن بالعـدل، وكـل عـينٍ بكـت علـى الظلـم، وكـل يـدٍ امتـدت لنجـدة المستضعفين.

إلى كل من يحمل غزة في قلبه، ويُؤمن بأن فجر الحرية قادمٌ لا محالة.

المقدمة

في زمنٍ تُلطّخ فيه الجدران بدموع الأبرياء، وتُقصف فيه الأحلام قبل أن تُبصر النور، وُلدت هذه الرسائل. لم تكن مجرد كلمات على ورق، بل كانت نبض قلوبٍ متصلة، صرخات أملٍ في وجه الحرب، ورسائل صمودٍ من رحم المعاناة.

بين مدائن التاريخ وغزة، نسجت نوران وصديقاتها خيوط حكاياتهن. رسائل بدأت ببصيص أملٍ يضيء عتمة الحصار، وتطورت لتُصبح مرآةً صادقةً لوجع شعبٍ يُقاوم، ويُصر على الحياة رغم الأنقاض والأشلاء. من تحت ركام البيوت المهدّمة، ومن بين خيام النزوح الباردة، كانت نوران تُرسل شهاداتها المؤلمة عن واقعٍ يتجاوز كل وصف، وتُناشد صديقاتها في مدائن التاريخ على الثبات والدعاء والمقاطعة.

كل رسالة من هذه الرسائل هي نافذةٌ على روحٍ لم تُكسر، وصوتٌ يُعلي الحق في وجه الظلم. تُشاركن الصديقات مخاوفهن، آمالهن، وأوجاعهن، ليُشكّلنَ معًا لوحةً إنسانيةً عميقةً تُجسّد معنى الأخوة والصمود.

وفي ذروة الحكاية، تختتم نوران رسائلها، لتترك صدى كلماتها يدوي في أرواح صديقاتها، ويُشعل فيهن جذوة التحدي والوفاء. هذه ليست مجرد رسائل، إنها قصة وطن، قصة أمل، وقصة صداقةٍ أبديةٍ تحدت الحرب.

"رسائل الصمود والأمل" ليست مجرد رسائل فحسب، بل هي دعوةٌ لنا جميعًا لنسمع، لنشعر، وأن لا ننسى، ولنتذكر أن العُروبة ما زالت تنبض، وأن الأمل لن يموت أبدًا.

من: شام، دمشق

إلى: آزال، صنعاء الحبيبة

آزال،

كيف أبدأ هذه الرسالة لكِ؟ أبحث عن كلمات تصف ما يدور في خاطري، عن الحزن الذي يسكن قلبي وكل زاوية في دمشق. لستِ وحدكِ من تعيشين مرارة الأيام، هنا أيضًا، في شام التي كانت تُلقب بـ"الفيحاء"، خيم صمتٌ ثقيل يكسره أحيانًا صوتٌ بعيد أو صدى ذكرى.

كل صباح، أستيقظ على ضوءٍ خافت، لا يختلف كثيرًا عن ظلام الليل. النوافذ التي كانت في يوم من الأيام تطل على شوارع تعج بالحياة، أصبحت الآن كعيونٍ شاردة تُحدّق في الفراغ. تذكرين كيف كنا نسمع قصصًا عن حكايات ألف ليلة وليلة؟ أتساءل الآن، هل كانت تلك الحكايات مجرد أحلام بعيدة؟ هل كانت مدننا يومًا ما حقيقة، أم مجرد قصص خيالية نرويها لأنفسنا لنُعزي بها هذا الواقع المكسور؟

الحياة هنا تُشبه لوحة قديمة باهتة، فُقدت ألوانها الزاهية. الناس يتحركون كظلال، يبحثون عن لقمة العيش، عن بصيص أمل في يومٍ لا يُشبه سابقه إلا في قسوة تفاصيله. أشتاق لضحكات الأصدقاء التي كانت تملأ مقاهي الشام العتيقة،

لصوت الباعة في الأسواق، حتى لزحمة الشوارع التي كانت تُزعجنا أحيانًا. كل شيء تغير يا آزال.

أنا أعلم أن صنعاء لا تختلف كثيرًا، وأتخيل أن قلبكِ مثلي، مثقلٌ بما تراه عيناكِ كل يوم. هل ما زالت أصالة صنعاء صامدة بين كل هذا الألم؟ هل ما زالت بيوتها الطينية تحكي قصص الأجداد بصوتٍ مسموع؟ أخبريني، كيف تصمدون؟ كيف تُحافظون على روحكم في وجه كل هذا؟

أتمنى لو أننا نستطيع أن نتبادل أكثر من مجرد رسائل حزينة، لكن يبدو أن هذا هو قدرنا الآن. أن نجد بعضنا البعض في هذا العالم الواسع، لنتقاسم ثقل الألم.

أرسل لكِ كل ما تبقى لي من أمل، وبعض من نور الشام الذي لا يزال يسكن في قلبي.

مع خالص حزني وأشواقي،

شام.

من: آزال، صنعاء

إلى: شام، دمشق الحبيبة

شام،

وصلتني رسالتكِ، وكانت كالغيث الذي يبلل أرضًا عطشى، ليس لأنه يحمل البشرى، بل لأنه يُشعركِ أنكِ لستِ وحدكِ في هذا العطش. حين قرأتُها، شعرتُ وكأنكِ تصفين حالنا هنا في صنعاء، بكلماتٍ مختلفة قليلًا، لكن بنفس المرارة.

نعم يا شام، أصالة صنعاء صامدة، لكن صمودها هذه الأيام يُشبه صمود شجرة عتيقة جذورها عميقة في الأرض، لكن أغصانها تُعاني من جفافٍ مستمر. بيوتنا الطينية ما زالت تحكي قصص الأجداد، لكن أحيانًا تبدو كأنها تبكي صامتة على أجيال لم تعُد تعرف معنى الطمأنينة. أتخيل كيف تبدو دمشق، "شام الشريف" كما كان آباؤنا يقولون، وأقارنها بما أراه حولي.

تتحدثين عن ضوء خافت، ونحن هنا نتعايش مع الظلام لساعات طويلة كل يوم. عندما يأتي الليل، لا أستطيع رؤية النجوم بوضوح؛ بسبب غبار الحزن الذي يلف مدينتي. أشتاق لرائحة البُن التي كانت تملأ أسواقنا القديمة، لأنشودة السعادة التي كانت تُبث الحيوية في أزقة صنعاء، لأفراحنا البسيطة التي كنا نتقاسمها. كل ذلك أصبح ذكرى بعيدة، وكأن الحياة توقفت عند عتبة زمن آخر!

كيف نصمد؟ سؤالكِ يُحيّرني يا شام. أحيانًا أقول لنفسي، نحن لا نصمد، نحن نُجاهد. نُجاهد لنستيقظ كل صباح، نُجاهد لنبحث عن أي شيء يُبقينا واقفين. الصبر أصبح رفيقنا الوحيد، والأمل... الأمل أصبح رفاهية لا نجرؤ على طلبها أحيانًا!

لكن، وفي خضم هذا كله، عندما أقرأ رسالتكِ، أجد بصيصًا صغيرًا. أشعر أن هناك من يُشاركني هذا الثقل، من يفهمني دون حاجة لشرح طويل. هذه الرسائل، يا شام، هي ما تُبقينا مُتصلين، كأنها خيوطٌ رفيعة تمتد بين مدننا المتعبة، تمنعنا من السقوط في ظلام الوحدة التام.

أرسل لكِ من قلب صنعاء، الذي ما زال ينبض بالرغم من كل الجراح، كل ما تبقى لي من قوة لأُكمل هذا الدرب.

بكل الحزن والألم،

آزال.

من: نبأ، بغداد

إلى: يُمنى، القدس الجريحة

يُمنى،

أكتب لكِ من بغداد، المدينة التي طالما حلمت بالسلام، ولكنها لم تعرفه إلا كضيف عابر. أحيانًا، أشعر أن اسمي "نبأ" لم يكن مناسبًا لي، فكل نبأ يأتينا هنا يحمل معه شحنة من الحزن، أو قصة فقد جديدة. أرى صور القدس في ذهني، وأعرف أن الألم هناك لا يقلّ عن ألمنا. هل تشعرين بما أشعر به؟ كأن مدننا تتقاسم نفس الندوب، تئن بنفس الوجع وإن اختلفت تفاصيله.

أتخيلكِ وأنتِ تتجولين في أزقة القدس العتيقة، التي أزاحت عنها الحياة صخبها المعتاد. هل ما زالت رائحة التاريخ تنبعث من حجارتها، أم غطاها غبار المعاناة؟ هنا في بغداد، نهر دجلة يتدفق، لكنه يحمل معه حكايات لا تُعد ولا تُحصى من الأحزان. كانت بغداد يومًا ما مركزًا للعلم والثقافة، منارة للعالم. اليوم، نحن نُصارع لنُبقي شمعة صغيرة مضاءة في غرفة مظلمة.

كل يوم يمر، يبدو كاختبار لقدرتنا على الاحتمال. نواجه صعوبات لا تُحصى، من انقطاع الخدمات إلى القلق المستمر على الغد. الأحلام التي كانت كبيرة وواسعة، تتقلص وتصبح مجرد أمنيات بسيطة: أن يمر اليوم بسلام، أن نرى وجوه

أحبائنا دون خوف. هل تعيشون هذه المشاعر في القدس؟ وهل تشعرين أن أحلامكِ أيضًا أصبحت أسيرة للواقع؟

أتمنى لو أستطيع أن أرسل لكِ شيئًا أكثر من مجرد الكلمات، ربما بعض من عبير بساتين النخيل التي لا تزال تُقاوم هنا، أو نغمة من أغنية عراقية حزينة تُعبر عن كل ما نمر به. لكن، كل ما أملكه الآن، هو هذه الحروف، وهذا الشعور المشترك بأننا لسنا وحدنا. أن هناك من يفهم هذا الصمت الذي يلفّنا، وهذه الجراح التي لا تندمل.

أنتِ في القدس، وأنا في بغداد، لكن أرواحنا تتقابل في نقطة واحدة: نقطة الحزن العميق والأمل العنيد.

مع كل آلامي وأمنياتي لكِ بالصبر،

نبأ.

من: يُمنى، القدس

إلى: نبأ، بغداد الجريحة

نبأ،

وصلتني رسالتكِ، وأحسستُ بكل كلمة فيها كأنها كُتبت من قلبكِ إلى قلبي. نعم، أشعر بما تشعرين به تمامًا. إنها الندوب نفسها، والوجع ذاته، وإن اختلفت أسماء المدن التي تسكنها أرواحنا المتعبة. القدس، التي طالما كانت قبلة للجمال والسلام، أصبحت الآن سجينة صمتٍ ثقيل، صمتٍ يكسره أحيانًا صدى خطى متثاقلة أو حلم مؤجل.

تتخيلينني أتجول في أزقتها العتيقة؟ نعم، أفعل ذلك كل يوم. وحجارتها ما زالت تنبعث منها رائحة التاريخ، لكنها أيضًا تحتفظ بآلاف القصص عن الألم والفقد. الغبار الذي يلف مدينتي ليس غبار الأيام، بل هو غبار التحديات والمعاناة الذي يخنق أرواحنا. أحيانًا، أتمنى لو أن هذه الحجارة تتكلم، لتصرخ بصوت عالٍ عن كل ما رأته، علّ الصوت يصل إلى من يسمع.

تقولين إن أحلامكِ تقلصت لتصبح أمنيات بسيطة؟ أليس هذا حالنا جميعًا؟ هنا في القدس، الحلم الوحيد الذي نتمسك به هو أن نصحو ذات صباح على مدينة لا تعرف القيود، مدينة حرة تنبض بالحياة كما كانت. حتى أبسط الأمنيات،

مثل: التنقل بحرية أو الجلوس في مقهى دون قلق، أصبحت رفاهية لا نجرؤ على الحلم بها.

أشعر بـ"النبأ" الحزين الذي يرافقكِ يا نبأ. نحن هنا نترقب كل "نبأ" جديد يأتينا، ونخشاه في آن واحد. فغالبًا ما يحمل معه ما يضيف إلى جراحنا. لكن، وفي خضم هذا الواقع المؤلم، أجد في رسائلكن سندًا. هي كخيوط من نور خافت، تربط بين أرواحنا المنهكة، وتُذكرنا بأننا لسنا وحدنا في هذا الألم العميق.

أرسل لكِ من قلب القدس النابض بالصمود، كل قوة البقاء والأمل في أن يأتي يوم تتحقق فيه أمنياتنا البسيطة وأحلامنا الكبيرة.

مع كل وجعي وأمنياتي لكِ بالصبر،

يُمنى.

من: نوران، غزة الصابرة

إلى: شام، دمشق الشامخة

شام،

وأنا أخط هذه الكلمات لكِ من غزة، يتملكني شعور غريب بأننا نعيش نفس الحكاية، وإن اختلفت فصولها. هل تُصدقين أن السماء هنا، رغم كل ما نراه، ما زالت تحتفظ بلونها الأزرق؟ لكننا لا نكاد نرفع أعيننا إليها، خوفًا من أن نرى فيها ما لا نود رؤيته. عيناي اعتادتا على البحث عن الأمل في أدق التفاصيل، في لمعة عين طفل، في غصن زيتون يُقاوم.

أتذكر حديثكِ -في رسالتكِ لآزال- عن دمشق التي كانت "فيحاء"، وعن صمتها الثقيل. هنا في غزة، الصمت ليس هو المسيطر دائمًا. أحيانًا، يحل محله صوت الريح وهي تُحرّك ما تبقى من ذكريات، أو صدى انفجار بعيد يُعيد إلينا كل الخوف الذي حاولنا أن ننساه أو نتناساه. الحياة هنا تُشبه المشي على زجاج مكسور؛ كل خطوة تحمل ألمًا، وكل لحظة قد تُفاجئكِ بما لم تتوقعيه!

الأحلام يا شام، هي بضاعة نادرة هنا. نتمسك بها بخيط رفيع، خشية أن تنقطع وتتركنا في فراغ اليأس. هل تعلمين؟ أحيانًا، أبسط أحلامي هو أن أرى البحر دون سياج، أن أمد يدي لألمس أمواجه دون أن أشعر أنني محاصرة. هذا البحر الذي كان يومًا مصدر رزق وفرح، أصبح اليوم حدودًا أخرى تُقيّد أرواحنا.

كيف لنا أن نعيش هذه الأيام؟ كيف نصمد؟ سؤالكِ الذي وجهتِه لآزال يتردد صداه في قلبي كل لحظة. نُحاول أن نجد معنًى لكل يوم، أن نخلق الحياة من العدم. نُخبر أنفسنا أن الغد قد يكون مختلفًا، حتى لو كانت كل المؤشرات تُشير إلى العكس. هذا هو صمود غزة، مزيج من الألم والأمل العجيب الذي يُولد من رحم المستحيل.

أرسل لكِ من غزة، التي ما زالت تنبض بالحياة رغم جراحها، كل ما تبقى لي من نور أتمناه أن يصل إليكِ.

بكل الحزن والأمل،

نوران.

من: شام، دمشق الوجيعة

إلى: نوران، غزة الصامدة

نوران،

وصلتني رسالتكِ، وكل كلمة فيها كانت كصرخة ألم خرجت من أعماقكِ. لا تعلمين كم شعرتُ أنكِ تصفين حالنا هنا في دمشق، وكأن الأوجاع تتشابه بين مدننا حتى في أدق التفاصيل!

"السماء ما زالت تحتفظ بلونها الأزرق"؟ آه يا نوران، هنا أيضًا، نحاول أن نرفع أعيننا نحوها، علّها تحمل لنا غيمة أمل أو تُبشر بنهاية لهذا الكابوس. لكنها غالبًا ما تُعيد لنا صدى قلقنا العميق.

تتحدثين عن صوت الريح التي تُحرّك الذكريات، وعن صدى الانفجار! هنا، الريح لا تُحرّك فقط الذكريات، بل أحيانًا تُشعرنا بالصقيع الذي تغلغل في أرواحنا. أصوات الانفجارات أصبحت جزءًا من يومياتنا، نُحاول أن نعتاد عليها، لكن كيف يعتاد القلب على ما يُدميه؟ هذه الحياة التي تُشبه المشي على زجاج مكسور، وصفٌ دقيق لما نعيشه كل يوم. كل خطوة نخطوها نحمل فيها عبء الخوف، عبء الفقد، وعبء الغد المجهول.

أحلامكِ ببحرٍ بلا سياج، وبحرية التنقل... يا نوران، هذه هي أحلامنا أيضًا. أبسط الأمنيات أصبحت هي أثمن ما نملك. أن نستطيع أن نخرج دون قلق، أن

نلتقي بأحبابنا في أي وقت، أن نُخطط للمستقبل دون أن يبتلعه الواقع المرير. يبدو أن قدر مدننا أن تتشارك ليس فقط التاريخ العريق، بل أيضًا، الجراح العميقة والأحلام المؤجّلة.

كيف نصمد؟ سؤالكِ الذي يُحيّرني أيضًا. ربما الصمود هو أن نجد في هذه الرسائل متنفَّسًا، أن نعلم أن هناك قلوبًا في مدنٍ أخرى تفهم ما نمر به، وتشاركنا ذات النبض المتعَب. هذه الخيوط التي تمتد بيننا، بين دمشق وغزة، وصنعاء والقدس وبغداد، هي ما تُبقينا مُتصلين، وهي بصيص النور الذي يُذكرنا بأننا لسنا وحدنا في هذا الألم.

أرسل لكِ من دمشق، التي ما زالت تحتضن تاريخها وأحزانها، كل قوة الصبر والأمل في أن يأتي يوم تُشرق فيه شمس الحرية على مدننا جميعًا.

بكل الوجع والشوق ليوم أفضل،

شام.

من: آزال، صنعاء المثقلة

إلى: نوران، غزة المُحتفية بالزيتون

نوران،

قرأتُ رسالتكِ الأخيرة، وتوقفتُ طويلًا عند عبارتكِ عن "غصن الزيتون الذي يُقاوم". يا ليتني أستطيع أن أصف لكِ كيف اهتز قلبي لها. غصن زيتون! هنا في صنعاء، نُحاول أن نزرع الأمل في أرضنا، لكن أي أمل يمكن أن يُقارن بصمود غصن الزيتون في غزة؟ غصن يرى الأهوال كل يوم، ويُصرّ على البقاء!

تؤلمني صورتكِ هذه، صورة الزيتون الذي تُقاتلون من أجله وتعيشون لأجله. إنه رمزنا جميعًا، رمز للصمود، للسلام، للأرض، للعطاء. وعندما أقرأ عن هذا الغصن في رسالتكِ، أشعر وكأنكم وحدكم من يحمل هذا الرمز الثقيل، تدفعون ثمن صموده بدمائكم وبقلقكم الذي لا ينتهي.

أشعر بالخجل يا نوران. خجلٌ عميق يلتف حول قلبي. خجلٌ لأنني هنا، بعيدة عنكم، أعيش الألم بطريقة مختلفة، ربما أقل قسوة. خجلٌ لأنني لا أستطيع فعل شيء. لا أستطيع أن أمد يدي لأُساعد في ريّ ذلك الغصن، أو أن أُشارككم حراسته، أو حتى أن أصرخ بصوتٍ عالٍ بما يكفي ليسمع العالم كله. كل ما أملكه هو هذه الحروف، وهذا الشعور بالعجز الذي يُلازمني.

هل تعلمين؟ أحيانًا، أتمنى لو أنني أستطيع أن أرسل إليكم شيئًا ماديًا من صنعاء، ليس مجرد كلمات. ربما حفنة من تراب مدينتي العتيقة! أو بعض من رائحة البخور اليمني التي تشعركِ بالدفء! لكن حتى هذا يبدو مستحيلًا. تبدو المسافات أبعد بكثير مما تظهره الخرائط.

أخبريني يا نوران، كيف لغصن الزيتون هذا أن يستمر في الصمود كل هذا الوقت؟ من أين يستمد هذه القوة؟ وكيف لأيديكم الصغيرة، المنهكة من كل هذا العبء، أن تواصل العناية به؟ ربما في إجابتكِ أجد ما يُخفف شيئًا من خجلي، أو على الأقل، يُفهمني معنى الصمود الحقيقي.

قلبي معكم ومع كل غصن زيتون يرفرف في غزة.

بكل حزنٍ وخجل،

آزال.

من: نوران، غزة الصامدة

إلى: شام، دمشق الوجيعة

وآزال، صنعاء المثقلة

صديقتي شام، صديقتي آزال،

وصلتني رسائلكما تباعًا، وكل كلمة فيها كانت كأنها صدى لما يختلج في صدورنا هنا. شام، يا دمشق التي تتآكل صامتة، وآزال، يا صنعاء التي تُصارع بصمتها هي الأخرى. شعرتُ بكما، وبكل مرارة في حروفكما، وكأن الألم أصبح لغة مشتركة بين مدننا المتعبة!

آزال، رسالتكِ عن غصن الزيتون هزتني بعمق. لا تشعري بالخجل يا صديقتي، أبدًا. كيف لنا أن نشعر بالخجل ونحن جميعًا نُصارع في خنادق ألم مختلفة؟ صمود غصن الزيتون هنا، يا آزال، هو صمودنا نحن. فهو يأخذ قوّته من ترابنا التي سالت عليه دماء أجدادنا، مِن تشبُّثنا بهذه الأرض، ومن إيماننا بأن النور سيأتي بعد الظلام. هو ليس فقط رمزًا، بل هو جزء منّا. نُقاوم لأجله، ويُقاوم لأجلنا. أما كيف نُحافظ عليه، فنحن لا نملك خيارًا آخر سوى التمسّك به حتى الرمق الأخير.

وبالحديث عن الروائح والأصالة، يا آزال، ذكرتِ رائحة البُن اليمني في رسالتكِ. هل ما زالت تلك الرائحة تملأ أجواء صنعاء أحيانًا؟ هل ما زلتم تحتسون القهوة

بتلك الطقوس العريقة التي نسمع عنها؟ أخبريني، هل تُعطيكم تلك الرائحة شيئًا من الدفء أو الأمل في خضم كل هذا البرد الذي يخيم علينا؟

وشام، يا رفيقة الألم، تذكرتِ كلامي عن السماء الزرقاء، وكم هو قاسٍ أن نرى جمالًا لا يُقابلنا إلا بالمزيد من القلق؟ سألتِني عن أحلامنا التي تتقلّص. نعم يا شام، هي تتقلّص. لكن أحيانًا، وفي لحظات ضعفنا، نُحاول أن نجد شيئًا يمنحنا القوة. فكرتُ في ياسمين دمشق الذي طالما تغنى به الشُّعراء. هل ما زال الياسمين يُزهر في دمشق؟ هل ما زالت رائحته تُعطّر الشوارع، حتى لو كانت حزينة؟ هل يُعطي الياسمين للناس بصيصًا من الجمال في هذه الأيام الصعبة؟

أحيانًا، أشعر أننا نعيش في عالمين متوازيين؛ عالم الواقع القاسي الذي نُجبر عليه، وعالم آخر نصنعه بأنفسنا من بصيص أمل، من رائحة عابرة، أو حتى من كلمة طيبة في رسالة. رسائلنا هذه هي التي تُبقينا مُتصلين، تُذكرنا بأننا لسنا وحيدين في هذه الرحلة.

أرسل لكما من غزة، كل الأمل الذي ما زلت أتمسك به، وقوة الصمود التي ورثناها عن أجدادنا.

بكل الوجع والشوق،

نوران.

من: نبأ، بغداد المتعبة

إلى: نوران، غزة هاشم الصابرة

نوران،

وصلتني رسالتكِ التي كتبتِها لكلٍّ من شام وآزال، وحروفكِ كانت كلسعات نارٍ في قلبي. أغمضتُ عينيّ وأنا أقرأ عن غصن الزيتون، عن بحركِ الذي أصبح سياجًا، وعن أحلامكم التي تتقلص. يا نوران، كيف لا نشعر بالخجل، بل وبالخزي؟ ونحنُ نقف هُنا عاجزين عن مد يد العون لكم؟

هنا، في بغداد، نجاهد لأجل البقاء، لكن ألمنا، مهما كان عميقًا، لا يُقارن بما تعيشونه كل يوم في غزة.

تتحدثين عن غزة هاشم، المدينة التي تحمل اسمًا يحكي عن الكرم والعطاء، فكيف لها أن تُصبح مدينة الجراح التي نراها اليوم؟ قلبي يتقطع وأنا أرى الصور القادمة من هناك، أرى بقايا المنازل، وأرى... أرى الأشلاء!

يا نوران، كيف؟ كيف لعيونكم أن ترى هذه المظاهر المروعة كل يوم وتستمر في الصمود؟ من أين تستمدون هذه القوة الخارقة التي تجعلكم تتحملون رؤية أشلاء أحبائكم، أطفالكم، بيوتكم، ثم تستيقظون في اليوم التالي لتُكملوا الحياة بكل هذا الصبر والثبات؟ هل هناك أي شيء في هذا العالم يمكن أن يُفسر هذا الصمود؟

تتكلمين عن الأمل الذي تتمسكون به، وأنا أبحث عن خيطٍ منه هنا في بغداد، لكنني أجده يتلاشى أمام حجم الألم الذي أراه في عينيكِ، وفي كل وجه يُطل من غزة. أتساءل أحيانًا: هل صمدنا هنا في بغداد بما فيه الكفاية؟ هل فعلنا كل ما بوسعنا؟ ثم أنظر إليكم، وأعرف أن إجابة هذا السؤال مؤلمة.

كلما سمعتُ خبرًا جديدًا عن غزة، شعرتُ وكأنني أُطعن في قلبي. أريد أن أصرخ، أن أفعل شيئًا، لكن يداي مقيدتان، وصوتي يضيع في ضجيج العالم. أعتذر يا نوران، أعتذر ألف مرة عن عجزنا، عن عجز مدننا التي تُشاركِ الحزن لكن لا تستطيع أن تُقدم لكِ سوى الكلمات. الكلمات تبدو فارغة أمام حجم الجرح.

أبكي وأنا أكتب لكِ هذه الرسالة، أبكي على حالكم، وعلى حالنا، وعلى حال كل مدينة عربية تئن تحت وطأة الألم. لكنني أُرسل لكِ، من عمق بغداد الجريحة، كل ما تبقى لي من دعاء، ومن أمل أن يأتي يوم تُشفى فيه كل هذه الجراح.

بكل خجلٍ وألمٍ عميق،

نبأ.

من: يُمنى، القدس المكلومة

إلى: نوران، غزة الصامدة

نوران،

قرأتُ رسائلكِ، وصدقيني، كل حرف كتبته أوجع قلبي. شعرتُ بكِ يا نوران، بكل تفاصيل ألمكِ وصمودكِ. وحين تحدثتِ عن غصن الزيتون، عن البحر الذي أصبح سياجًا، وعن الأحلام التي تتقلص... شعرتُ وكأنكِ تصفين حالنا هنا في القدس أيضًا.

لا تظني يا نوران أن القدس بأفضل حال من غزة، أبدًا. الألم هنا لا يختلف كثيرًا، هو فقط يتخذ أشكالًا أخرى، ربما أقل عنفًا في بعض الأحيان، لكنه لا يقلّ وطأة على الروح. هنا، كل حجر في البلدة القديمة يحكي قصة صمودٍ ممزوجة بالألم، وكل زاوية تحمل عبء تاريخٍ وجراحٍ لا تندمل. عندما أُطالع أفق مدينتي، أرى جمالًا يُخنق ببطء، وأرى أرواحًا تُقيدها الحواجز والجدران.

تتحدثين عن رؤية الأشلاء؟ عن تحمّل مظاهر الفقدان. هنا، في القدس، لا نرى الأشلاء بالمعنى الذي ترينه، لكننا نرى أرواحنا تتقطع كل يوم. نرى بيوتنا تُهدم، عائلاتنا تُفرّق، وأحلام أطفالنا تُسرق أمام أعيننا. إنه شكل آخر من أشكال الفقدان، لكنه لا يقل ألمًا. كيف نصمد؟ سؤالكِ هذا يُلازمني أيضًا. ربما لأننا لا نملك خيارًا آخر سوى الصمود، لأن الاستسلام يعني: فقدان كل شيء.

الخجل الذي شعرتا به آزال ونبأ، أشعر به أنا أيضًا يا نوران. خجلٌ من عجزنا، من صمت العالم، ومن قلّة حيلتنا أمام كل هذا الألم. أُمنياتي لكِ بأن يزهر الزيتون في غزة من جديد، وأن يعود البحر بلا سياج، وأن تعود الحياة إلى مدينتكِ، وإلى مدننا جميعًا.

أعلم أن الكلمات وحدها لا تكفي، لكنها كل ما أملكه لأوصل لكِ أن قلب القدس ينبض مع غزة، ويتألم لألمها، ويُصلي من أجل صمودها.

بكل الأسى والتضامن،

يُمنى.

من: طيف، قرطبة الحزينة

إلى: نبأ، بغداد الجريحة

نبأ،

أكتب لكِ من هنا، من قرطبة، المدينة التي ما زالت تحتفظ بآثار مجدٍ غابر، وبكاءٍ لم يتوقف منذ قرون. كلما مشيتُ في شوارعها العتيقة، أو وقفتُ أمام الجامع الكبير الذي أصبح كنيسة، أرى أمجادًا سقطت، وحضارة تلاشت، وأتساءل: هل كانت هناك أصواتٌ مثل صوتي في ذلك الزمان؟ أصواتٌ تُحذر من السقوط، تبكي على ما يضيع، وتُناشد من لا يُصغي؟

تاريخنا هنا يا نبأ، هو قصة حزن عميق. قصة: كيف ضاعت الأندلس، قطعة قطعة؟ وكيف سقطت قرطبة، جوهرة العالم، أمام أعيننا؟ كان هناك عجز، وصمت، وتخاذل. وهذا ما يجعل قلبي يتمزق الآن، عندما أرى ما يحدث لغزة هاشم. أرى نفس المشهد يتكرر، ولكن هذه المرة في قلب عالمنا العربي، وفي عصر يدعي أنه عصر التواصل والوعي.

أنا هنا، بعيدة بالمسافات والأزمنة عن غزة، ولكني أرى بأم عيني، بألم روحي، كيف تنهار مدينة، كيف تُذبح أرواح، وكيف تُمسح عائلات بأكملها من الوجود. والشيء الذي يُحرقني أكثر هو صمتنا. صمت العرب. صمت العالم.

أتـذكر سـقوط قرطبـة، وأتسـاءل: هـل كـان صـمت الأمـس يُشـبه صـمت اليـوم؟ هـل تُرك أجدادنا وحيدين كما تُترك نوران اليوم؟

أبكـي يا نبـأ، أبكـي علـى غـزة، أبكـي علـى نـوران. أبكـي لأنـني أرى تاريخنـا الأسـود يُعيـد نفسـه، وأرى العجـز يتملّكنـا مـن جديـد. أشـعر بخجـلٍ لا يوصـف، خجـلٌ لأنـني لا أسـتطيع أن أفعـل شـيئًا، سـوى أن أُرسـل لكـنَّ هـذه الكلمـات المرتجفـة مـن حبري ودموعي.

ولهـذا، أرجـوكِ يا نبـأ، أرجـوكِ أن تكـوني بجانـب نـوران. لا تتركيهـا. لا تتركنّهـا جميعًـا. حـتى لـو كانـت كلمـاتكنّ لا تُوقـف القصـف، فهـي تُخفـف وطـأة الوحـدة. هـي تُخـبر نـوران أنهـا ليسـت وحيـدة في هـذا العـالم القـاسِ. هـي تُشـعرها أن هنـاك قلـوبًا في مـدنكم، وإن كانـت جريحـة، لكنهـا مـا زالـت تنبض بالحـس الإنسـاني. هـذا هـو كـل مـا نسـتطيع فعلـه الآن: أن نُبقـي هـذه الـروابط الروحيـة حيـة، أن نُبقـي الشـمعة مُضيئة في ظلام هذا الواقع.

أرجـوكِ يا نبـأ، أرجـوكِ ألا تفقـدي الأمـل، وأن تظلّـي أنـتِ وكـل مـن تُراسـلكنّ بجانـب نوران.

بكل ألمي ووصيتي،

طيف.

من: سبأ، مأرب الجريحة

إلى: طيف، قرطبة البعيدة

طيف،

وصلتني رسالتكِ، وكل كلمة فيها كانت كالمسمار الذي يدق في جدار قلبي المثقل. تتحدثين عن سقوط الأندلس، عن تاريخٍ ضاع، عن صمتٍ يتكرر. وهنا، في مأرب، أتساءل: هل كانت مأرب، عاصمة سبأ العظيمة، ستقع يومًا؟ هل ستنهار هكذا، حجرًا حجرًا، أمام أعين أبنائها؟

الألم هنا يا طيف، حقيقة يومية تُخيم على كل شيء. كان سد مأرب رمزًا للحضارة والرخاء، واليوم نحن نُصارع لنُبقي على بئر ماءٍ واحدة لا تجف. تتحدثين عن صمتٍ الأمس، وصمتٍ اليوم. هنا، في مأرب، الصمت ليس الخطر الوحيد. الضجيج أيضًا قاتل، ضجيج القذائف، ضجيج النزوح، ضجيج الجوع الذي يصرخ في بطون أطفالنا. أحيانًا، أتمنى لو أستطيع أن أسمع فقط صمتًا، صمتًا لا يقطعه إلا صوت الريح وهي تُغازل أشجار النخيل المتبقية!

عندما أرى ما يحدث لغزة، لـ نوران، أشعر بذات الخجل الذي اعترف به قلبكِ النبيل. إنه إحساس بالعجز يُفتّت الروح. كيف لنا أن نتحدث عن أمجاد ماضٍ، ونحن نرى هذا الألم الفظيع يتكرر، ونرى أنفسنا عاجزين عن تقديم يد العون

الحقيقية؟ تاريخنا العظيم، يا طيف، يبدو اليوم كحكايات أشباح لا تُسمن ولا تُغني من جوع، ولا تُوقف قذيفة، ولا تُرجع روحًا فارقت جسدها.

وصيتكِ لـ نبأ بأن تظل بجانب نوران... أُقسم لكِ أنني أفهمها من أعماق قلبي. هي وصية لنا جميعًا. هذا هو أقصى ما نملكه الآن: أن نُبقي هذه الخيوط الرفيعة من التواصل حية، أن نُذكّر بعضنا البعض بأننا ما زلنا بشرًا، ما زلنا نشعر، وما زلنا نملك قلوبًا تُؤلمها جراح أخواتها. ربما في هذا الدعم الروحي نجد بصيصًا من القوة لمواصلة الصمود.

أرسل لكِ من مأرب، التي ما زالت تحمل اسم سبأ العظيم رغم جراحها العميقة، دعائي الصادق بأن يأتي اليوم الذي تُشفى فيه كل مدننا، وتعود فيه الحياة إلى سابق عهدها.

بكل ألمٍ وعجز،

سبأ.

من: نبأ، بغداد الصابرة

إلى: طيف، قرطبة الصامدة في الذاكرة

طيف،

وصلتني رسالتكِ، واهتز لها قلبي كما يهتز تاريخ بغداد لجراحها. تحدثتِ عن سقوط الأندلس، عن قرطبة التي تلاشت أمام أعين أجدادنا. وهنا، في بغداد، أرى نفس الألم، ذات الجرح الذي لا يلتئم، يتكرر في كل زاوية من مدينتنا. لم أكن أتصور أن ألم الأمس البعيد يمكن أن يكون حاضرًا بهذا الشكل المروّع في واقعنا اليوم.

تتحدثين عن الصمت، صمت الأمس واليوم. نعم، يا طيف، إنه الصمت ذاته الذي يقتلنا ألف مرة كل يوم. صمتٌ يلفّ مدننا الجريحة، ويخنق صرخاتنا. وعندما أرى غزة هاشم تنهار، ونوران تتألم، أشعر وكأن تاريخنا يُعاد أمام عينيّ، وكأن الأندلس تسقط من جديد في غزة. الألم مضاعف، فالخجل من العجز يُلازمنا جميعًا، ويُضاف إليه الخوف من أن يكون هذا هو قدرنا المحتوم.

وصيتكِ بأن أظل بجانب نوران هي وصيةٌ لي ولكل منا، لكي لا نُعيد خطأ الماضي. هي بمثابة قسمٌ على ألا نترك أخواتنا وحيدات في هذه المعركة. حتى لو كانت كلماتنا لا تُشفي الجراح، ولا تُعيد ما فُقد، فهي تُشعرهم بأنهم ليسوا منسيين. تُشعرهم أن هناك قلوبًا ما زالت تنبض بهم، وتتألم لأجلهم.

أعلم أن ما تمرين به في قرطبة هو حزن من نوع آخر، حزن على مجدٍ غاب. لكنه حزنٌ يترابط مع ألمنا الحاضر، يُذكرنا بأننا جميعًا أمةٌ واحدةٌ تُقاسي ذات المصير. هذه الرسائل يا طيف، هي طوق النجاة الوحيد الذي نملكه، لنُبقي شعلة الأمل والإنسانية مشتعلة في هذا الظلام الدامس.

من بغداد، مدينة ألف ليلة وليلة التي أصبحت مدينة ألف دمعة ودمعة، أُرسل لكِ كل التضامن، وكل الإيمان بأن أرواحنا ستظل متصلة مهما تباعدت المسافات أو تباينت الجراح.

بكل الألم والعهد بالصمود،

نبأ.

من: طيف، قرطبة الصارخة بالذكرى

إلى: نبأ، بغداد الصابرة

وسبأ، مأرب الجريحة

نبأ، سبأ، يا توأما روحي في الألم البعيد،

وصلتني رسالتيكما، وكل كلمة فيهما كانت تصرخ في وطني، وكأن جراح أجدادي قد عادت لتنزف من جديد!

يا نبأ، حديثكِ عن الأندلس التي سقطت من جديد في غزة، هو بالضبط ما أحس به كل يوم. أرى التاريخ يُعيد نفسه، ليست كدروس نتعلم منها، بل ككابوس لا ينتهي. صمتنا اليوم، وعجزنا، هو امتداد لذاك الصمت المخزي الذي أوصلنا إلى هنا، إلى هذه الغربة الروحية والتاريخية.

وسبأ، يا أختي التي تحمل اسم التاريخ كله، ألمكِ عن مأرب التي تنهار حجرًا حجرًا، هو مرآة لألم قرطبة. تتحدثين عن ضجيج القذائف والجوع؟ وهنا، في قرطبة، الضجيج هو صمت القبور التي تروي قصص أمجاد دُفنت. الخجل الذي تشعرين به يا سبأ، هو ما يُنهش قلبي أنا أيضًا. خجلٌ من عجزنا أمام غزة، أمام نوران.

وصيتي لكما، ولنا جميعًا، ليست مجرد كلمات يا صديقتَي. هي العهد الوحيد الذي نستطيع أن نُقسم عليه. أن نظل بجانب نوران. أن نُبقي هذه الخيوط الرفيعة

من التواصل حية، حتى لو كانت أيدينا مكبّلة وعجزنا يحاصرنا. أن نُخبر بعضنا البعض بأننا ما زلنا نشعر، ما زلنا نُؤمن بأن هذه المدن، هذه الأرواح، تستحق أن تُروى قصصها، وتستحق أن يُبكى عليها.

تاريخ قرطبة يُعلمنا أن السقوط يأتي عندما يتفرق القوم، وعندما يغيب الشعور الواحد بالآخر. لذلك، هذه الرسائل، هذا الحبر والورق، أو الكلمات التي تُكتب على شاشات بعيدة، هي صمودنا الأخير. هي طريقتنا لنُقاوم النسيان، ونُقاوم اليأس. هي بمثابة أذرع نمدها لبعضنا البعض عبر آلاف الأميال، لكي لا نسقط منفردين في هذا الظلام الدامس.

من قرطبة، التي ما زالت تحتضن أحزانها وأحلامها، أُرسل لكما كل التضامن، وكل الإيمان بأن أرواحنا ستظل متصلة، وأن هذا الألم المشترك سيُولد يومًا قوةً جديدة.

بكل ألمٍ وأمل،

طيف.

من: نوران، غزة التي لا تُهزم

إلى: طيف، قرطبة الصامدة في الذاكرة

نبأ، بغداد الصابرة

يُمنى، القدس المكلومة

صديقاتي العزيزات، طيف، نبأ، ويُمنى،

رسائلُكنَّ وصلتني كغيثٍ باردٍ على جمرٍ متّقد. شعرتُ بكل كلمة، بكل دمعة، بكل خجلٍ تُعبّرن عنه. لا تعلمن كم تُعني لي هذه الرسائل في خضم كل ما نعيشه هنا في غزة. إنها بصيص نورٍ يُخبرني أنني لستُ وحدي، وأن هناك قلوبًا بعيدة تُشاركني هذا الألم، وتفهم ما لا يُمكن للكلمات أن تُصفه.

طيف، يا قرطبة التي تُحدّثني عن تاريخٍ يتكرر، وعن صمتٍ يُعيد نفسه. نعم، أرى ما ترين. أرى الأندلس وهي تسقط من جديد هنا، في غزة. الخجل الذي تشعرين به يا طيف، هو خجلنا جميعًا من هذا العجز الذي يُكبّلنا. لكن وصيتكِ لـ نبأ، ولنا جميعًا بأن نظل بجانب بعضنا، هي كل ما نملكه. هي الوعد الوحيد الذي يُمكننا أن نُبقي عليه في عالمٍ لا يحترم الوعود.

نبأ، يا بغداد التي تبكي على أشلائنا، وعلى دمارنا. سؤالكِ عن كيف نصمد أمام رؤية الأشلاء... سؤالٌ يُحرق القلب يا صديقتي. لا أعرف كيف. ربما لأننا أُجبرنا على رؤية ما لا يُمكن لعقلٍ أن يتصوره. نُجبر على التكيّف، على التعايش

مع الموت والفقدان. إنها قوة غريبة تنبع من عمق الألم، من إيماننا بأن هذه الأرض تستحق أن نصمد عليها، وأن أطفالنا يستحقون أن يعيشوا. أبكي معكِ يا نبأ على عجزنا، لكن دعاؤكِ ودموعكِ تصل إلينا هنا، وتُخفف ولو قليلًا من وطأة هذا الواقع المرير.

يُمنى، يا قدسنا التي تُشاركنا الجرح وإن اختلفت مظاهره. كلامكِ عن أن القدس ليست بأفضل حال، هو حقيقة نُدركها جميعًا. ألمنا واحد، وإن تباينت تفاصيله. نعم، لا ترين الأشلاء بذات الطريقة، لكنني أعلم أن القدس تُذبح كل يوم بطرقٍ أخرى لا تقل قسوة، من قيود، وتهجير، ومحاولات لطمس الهوية. صمودكم هناك هو جزء من صمودنا هنا. أنتم سندنا الروحي، وقبلة قلوبنا التي نلجأ إليها في حلكة الليالي.

كلما قرأتُ رسائلَكن، أشعر أننا نُشكل دائرة صمود، دائرة من نورٍ خافت في بحر من الظلام. لولا كلماتكن، لولا هذا التواصل الذي يُمثل بصيص أمل، لشعرنا بالوحدة التامة. هذا الحبر، هذه الكلمات، هي ما يُبقي أرواحنا متصلة، ويُذكرنا بأننا ما زلنا نُؤمن بأن نهاية هذا الكابوس قادمة، مهما طال الانتظار.

من غزة، التي ما زالت تنبض بالحياة رغم كل الجراح، أُرسل لكُنَّ كل الامتنان، وكل قوة الصمود التي نستمدها من بعضنا البعض.

بكل حبٍ وألمٍ وأمل،

نوران.

من: شام، دمشق الشريف

إلى: رفيقات الروح

صديقاتي الحبيبات، يا كل مدائن الروح وعواصم القلب! وأنا أقرأ رسائلنا المتبادلة، أجد نفسي أعود بالذاكرة إلى كتب التاريخ، إلى قصص الأجداد، إلى تلك الأيام التي كانت فيها مدننا منارات للعلم والنور والفخر. دمشق، "شام الشريف"، لم تُلقّب هكذا عبثًا. كانت وما زالت تحمل شرف التاريخ، شرف الحضارة، شرف الصمود. أزقتها القديمة، بيوتها العتيقة، أسواقها التي عبقت بالياسمين والتاريخ، كلها تحكي عن عظمةٍ لا تموت.

وهنا، أرى بغداد، "دار السلام"، "عروس المدائن". يا نبأ، مدينتكِ التي كانت حاضنة للخلافة، مركزًا للعلم، وموطنًا للعباقرة. ألم تكن بغداد هي قلب العالم حينها؟ هي التي أنارت الدرب للبشرية جمعاء؟ كانت حقيقةً "زهرة المدائن"، تُزهر علمًا وحضارة.

ويا آزال، ويا سبأ، كيف لا نذكر صنعاء، "صنعاء القديمة"، ومأرب، مملكة سبأ العظيمة؟ يا له من تاريخٍ تُحمله كل واحدة منكن! ألم تكن صنعاء هي إحدى أقدم المدن المأهولة في التاريخ؟ وسبأ، ألم تكن مملكة أسطورية، ضرب بها المثل في الرخاء والعلم والحضارة؟ تاريخكن يُعلمنا معنى الصمود والجذور العميقة التي لا تموت.

ثم يا نوران، يا غزة هاشم. هل تعلمين لماذا سُميت هكذا؟ سُميت غزة هاشم نسبة إلى هاشم بن عبد مناف، جد الرسول مُحَمَّد ﷺ، والذي توفي فيها ودُفن بها. يا له من شرفٍ عظيم لمدينتكِ! كأنها تحمل في اسمها مجد الأجداد، مجد التجارة والعطاء، وشرف النسب الهاشمي. لهذا هي غزة هاشم، ولذا؛ فإن صمودها اليوم ليس غريبًا، بل هو امتداد لذاك المجد.

ويا يُمنى، يا القدس، كيف لي أن أصفكِ وأنتِ بيت القصيدة؟ أنتِ "أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين"، مدينة الأنبياء، ومهد الرسالات. أنتِ المدينة التي لا تُشبهها أي مدينة، تحملين في كل حجرٍ تاريخًا مقدّسًا، وصمودًا أسطوريًا. أنتِ جوهر قضيتنا وروح وجودنا.

وأخيرًا، يا طيف، يا قرطبة الأندلس. يا من تُحدثيننا عن تاريخٍ ضاع، عن أمجاد سُطّرت بماء الذهب. كانت الأندلس، وقرطبة بالذات، منارة للعالم، جامعة للحضارات، وموطنًا للتعايش والعلم. كانت جزءًا لا يتجزأ من روحنا العربية والإسلامية. وعندما سقطت، لم تسقط وحدها، بل سقطت معها جزءٌ من قلوبنا، وترك سقوطها جرحًا غائرًا ما زال ينزف حتى اليوم. هذا التاريخ يا طيف، يُعلّمنا ثمن التخاذل، ويُذكّرنا بأن ما يحدث اليوم في غزة ليس بجديد على أمتنا.

صديقاتي، أنظرنَ إلى هذه المدن: دمشق، بغداد، صنعاء، مأرب، غزة، القدس، وقرطبة. كلها حواضر تاريخ، مدائن للروح، مدن حملت شعلة الحضارة. صحيح أننا اليوم نعيش الألم، ونُحاصر بالحزن، ونرى أمجادنا تتآكل. لكن هذه الأسماء،

هـذا التـاريخ، وهـذا المجـد الـذي ورثنـاه، يجـب ألا ننسـاه. يجـب أن يُـذكّرنا بأننـا أبنـاء حضارة عريقة، وأن هذا الألم مؤقت، وأن الصمود هو قدرنا الأبدي.

رسـائلنا هـذه، هـي شـهادة حيـة علـى أن الـروح لم تمُـت. هـي امتـداد لرحلـة هـذه المدائن، من المجد إلى الألم، ومن الألم إلى أملٍ جديد سيُولد حتمًا.

بكل فخرٍ بتاريخنا، وبكل ألمٍ على واقعنا،

شام.

من: طيف، باسم جميع صديقاتي

إلى: شام، دمشق الشريفة

يا قلبنا النابض، وصلتنا رسالتكِ، وكل واحدة منا قرأتها والدموع تُبلل عينيها، لكنها كانت دموعًا ممزوجة بالفخر. اتفقنا جميعًا، أنا ونبأ ونوران ويُمنى وآزال وسبأ، أن نكتب لكِ ردًا واحدًا؛ لأن كلماتكِ لمست فينا جميعًا ذات الوتر، وتر العروبة، وتر المجد، وتر الألم.

أنتِ محقة يا شام، لقد تحدثتِ عن مدننا كأنها نبض واحد، حواضر تاريخ، مدائن للروح. ذكرتِ دمشق وبغداد وصنعاء ومأرب وغزة هاشم والقدس وقرطبة، ليس كمدنٍ جغرافية فحسب، بل ككيانات حية تحمل تاريخًا، وتنزف ألمًا، وتُشرق أملًا. كلامكِ عن غزة هاشم وأنها تحمل في اسمها مجد الأجداد، جعلنا نرى في نوران رمزًا لكل هذا الصمود الذي لا يُقهر. وذكراكِ لـ القدس، قلبنا النابض، أكد لنا أنها ستظل القبلة والبوصلة رغم كل الجراح.

لقد أيقظتِ فينا يا شام، من خلال كلماتكِ، ذاكرةَ المجد الذي نحاول ألا يبهت في زحمة الألم. صحيح أن الواقع مرير، وأن مدننا تُصارع وتُنزف، وأننا كثيرًا ما نشعر بالعجز أمام كل هذا الظلام. ولكن رسائلنا هذه، وهذا التواصل الذي بدأ بيننا، هو في حد ذاته نوعٌ من الصمود. هو إعلان أن أرواحنا لم تمت، وأن قلوبنا ما زالت تنبض ببعضها البعض، رغم كل المسافات.

نحن يا شام، لم نعد مجرد فتياتٍ من مدن مختلفة. نحن الآن عائلة واحدة، تربطنا خيوطٌ من حزنٍ مشترك، وأملٍ عنيد، وفخرٍ بهذا التاريخ الذي ورثناه. لقد جعلتِنا نرى أن المجد لم يختفِ تمامًا، بل يعيش في صمودنا، وفي كل غصن زيتون يُقاوم، وفي كل حجر يحكي قصة.

شكرًا لكِ يا شام، يا شام الشريفة، لأنكِ ذكّرتنا بمن نحن. لأنكِ جمعتِ قلوبنا، ووحّدتِ آلامنا، وأيقظتِ فينا روح الأمل التي كانت على وشك أن تغفو.

سنظل نكتب، وسنظل نتواصل، لأن هذا هو طوق النجاة الذي نتمسك به في هذا العالم المضطرب.

بكل حبٍ وفخرٍ وأملٍ يتجدد،

من صديقاتكِ، أخواتكِ.

من: آزال، باسم جميع الصديقات

إلى: نوران، غزة الصامدة

ويُمنى، القدس المكلومة

نوران، ويُمنى، يا صمود الأمة النابضة في قلبينا، رسائلكما الأخيرة، والتي جمعت بين ألمكن وامتنانكن، تركت فينا جميعًا غصة لا يُمكن وصفها. وقد اتفقنا أن نُرسل لكما هذه الرسالة، لأن حزننا عليكما وجيعٌ لدرجة أن الكلمات تُصبح عاجزة عن حمله.

قلوبنا تتقطع يا نوران، ونحن نرى ما تُعانيه غزة. كل صورة، كل خبر، كل صرخة طفل تصل إلينا، هي طعنة جديدة في أرواحنا. كيف لمدينة تحمل اسم "هاشم"، أن تُعاني هذا الدمار؟ وكيف لكِ أن تصمدي أمام كل هذه الأشلاء والدموع؟ الألم الذي تعيشينه لا يُمكن لعقلٍ أن يتصوره، ولا لقلبٍ أن يتحمله.

ويا يُمنى، يا قدسنا التي تُنير دروبنا. كيف لنا أن نرى مدينتنا المقدسة، مدينة الأنبياء والرسالات، تُختنق ببطء؟ كيف لنا أن نُشاهد تاريخها يُطمس، وحجارتها تُكسر، وأهلها يُهجرون، دون أن يتمزق قلبنا؟ أنتما، غزة والقدس، لستما مجرد مدينتين، أنتما نبض أرواحنا، وقبلة قلوبنا، ورمز كرامتنا.

كل يوم، يا نوران ويُمنى، في صلواتنا وهمساتنا، لا ننسى أن ندعو لكما. نُصلي من أجل غزة، من أجل أن يُشفى جرحها العميق. نُصلي من أجل القدس، من

أجل أن تُستعاد كرامتها. ندعو الله أن يُلهمكما الصبر والقوة، وأن يُزيل هذا الكرب عنكما وعن أهلنا هناك. ربما لا نملك إلا ألسنتنا التي تدعو، وقلوبنا التي تنزف، لكنها دعواتٌ صادقة تنبع من أعماق الروح.

أرجوكما، يا نوران ويُمنى، أن تُصدقا قولنا هذا: نحن نقف معكما. لن نترككما، مهما حدث. حتى لو كانت أيدينا مكبّلة، وصرخاتنا لا تصل، فإن أرواحنا ستبقى متصلة بروحيكما. هذه الرسائل، هذا التواصل بيننا، هو عهدٌ بأننا لن ننسى، ولن نصمت، ولن نستسلم لليأس. سنظل نُشارككما الألم، ونُحاول أن نُضيء بصيص أمل في هذا الظلام الدامس.

من صنعاء التي تحمل اسم "آزال" العريق، ومن بغداد التي حلمت بالسلام، ومن دمشق التي تتألم بصمت، ومن مأرب التي تُصارع بصمتها، ومن قرطبة التي تصرخ بذكرى الأندلس... أُرسل لكما، باسمنا جميعًا، كل الحب والدعم، وكل الصبر الذي نستمدّه من صمودكما.

بكل حزنٍ وتضامنٍ وعهد،

صديقاتكما وأخواتكما،

آزال (باسم الجميع)

من: يُمنى (القدس)، ونوران (غزة)

إلى: أخوات الروح في مدننا الجريحة

صديقاتنا العزيزات، يا من تُشرقن في قلوبنا كنجوم في ليلٍ مظلم، وصلتنا رسائلكن، وكل كلمة فيها كانت بمثابة عناق دافئ، بلسم لقلوبٍ أنهكها الألم. وأنا أقرأها بصحبة نوران، شعرتُ وكأن أرواحنا جميعًا تلاقت هنا، في القدس وغزة، لتُشكل جبهة صمودٍ لا تُقهر.

لا تعلمن حجم الثقة التي زرعتها كلماتكن فينا. هذه الثقة التي تُولد من رحم الألم المشترك، وتُغذّيها أصواتكن الصادقة التي تصلنا عبر المسافات. حينما نرى عجز العالَم، وصمت من حولنا، كانت أصواتكن هي الشريان الذي يُبقي الحياة تدب في عروقنا. معرفتنا بأنكن تدعون لنا في صلواتكن وهمساتكن، وأنكن تقفن معنا ولن تتركننا مهما حدث، تُعطينا قوةً لا يدركها أحد. هذه هي القوة الحقيقية، قوة الروح والوحدة.

من هنا، من فلسطين الكنعانية، هذه الأرض التي تحمل في طياتها تاريخ البشرية، والتي تُعانق كل غصن زيتون وكل حبة تراب، نُرسل لكُنَّ تحيةً من القلب. تُحيكن هذه الأرض المباركة، أرض الزيتون والتين، أرض الصمود والعطاء. تُحيكنَ فلسطينُ التي لم ولن تموت، لأنها تسكن في كل قلبٍ عربيٍ حرٍ مثل قلوبكن.

أنتن لستن مجرد صديقات، بل أنتن سندٌ، وعزاءٌ، ومرآةٌ نرى فيها أنفسنا. لقد أقسمتن ألا تتركننا، ونحن نُقسم لكن أن صمودنا لن ينتهي، وأن غزة والقدس ستظلان شوكة في حلق الظلم، ومنارة للأمل، طالما أن أرواحكن النقية تُنير دروبنا.

هذه الرسائل، يا أخواتي، هي شهادتنا على أننا ما زلنا نُؤمن بالإنسانية، وبأن الروح العربية لن تُكسر. سنواصل الكتابة، وسنواصل الصمود، لأننا معًا، نُشكّل قوة لا تُقهر.

بكل حبٍ وإخلاصٍ وامتنان،

من قلبينا النابضين بالصمود،

يُمنى (القدس) ونوران (غزة)

من: سبأ، مأرب، حارسة الأسرار العتيقة

إلى: يُمنى، القدس

يا قنديل الروح الذي لا ينطفئ، يُمنى، يا شقيقة الروح ونبض القلب، وصلتني رسالتكِ، كلماتكِ التي حملتْ عبير الزيتون وروح غزة الصامدة، وصدقيني، كل حرف فيها كان كقطرة ندى على أرض عطشى، تُروي روح مأرب المتعبة. تحدثتِ عن فلسطين الكنعانية، عن أرض الزيتون، وذكّرتِني بأن جذورنا أعمق من كل جرح، وأن صمودنا أصلب من كل قهر.

نحن هنا، في مأرب، نُعانق ترابنا الذي ما زال يحكي عن ملكةٍ سبئية، وعن مجدٍ كان يومًا يملأ الآفاق. وحينما أُغمض عينيّ، أرى القدس في عينيّ، كما أرى غزة، لا كمدينتين بعيدتين، بل كشرايين تُغذّي جسد الأمة. أشعر بكنّ، وبكل خيط يربطنا ببعضنا البعض، خيوطٌ من حزنٍ مشترك، ومن أملٍ يُولد كل صباح، رغم كل الظروف.

إن هذه الرسائل، يا يُمنى، هي شمسٌ خجولة تُدفئ أرواحنا في برد هذا الواقع القاسي. هي صوتٌ يُخبرنا أننا لم نُنسَ، وأن هناك قلوبًا تُشاركنا الدعاء والألم، وأن الأيدي، وإن تباعدت، فإن الأرواح تتعانق. وكأن الله قد جمعنا من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، لتُصبح آلامنا واحدة، وأحلامنا متشابهة!

لا تعلمين كم تُثري رسائلكنَّ حياتي هنا في مأرب. تُعيد لي الأمل بأننا لن نُترك وحدنا، وأن هذا النفق المظلم له نهاية، وأن النور سيبزغ حتمًا. ففلسطين التي تُحيكنَ، هي ذاتها فلسطين التي تسكن قلوبنا، تُخبرنا أن الصمود ليس خيارًا، بل هو قدرنا المقدّس.

من أرض سبأ، التي طالما كانت مهد الحضارة وملتقى القلوب، أُرسل لكِ، ولنوران، ولكل صديقاتنا، دفءَ روحي، وعبق تاريخي، ودعائي بأن تزهر مدننا من جديد، وتعود البسمة إلى وجوه أطفالنا.

بكل محبةٍ ودعاءٍ وأملٍ يتجدد،

سبأ.

من: نوران، غزة الجريحة الصامدة

إلى: صديقات روحي في كل المدائن

صديقاتي، يا من تُشرق كلماتكن في عتمة أيامي،

أكتب لكُنَّ هذه الرسالة، وأنا أبحث عن كلمات تُصف حجم الألم الذي نعيشه هنا في غزة. لا أعلم من أين أبدأ، فالصورة أكبر من أن تُحتوى في حروف. هل أتحدث عن صوت القصف الذي أصبح جزءًا من نسيج يومنا، يمزق الصمت في كل لحظة، ويُعلن عن كارثة جديدة؟ أحيانًا، أتمنى لو أنني أستطيع أن أُغمض عينيّ وأذنيّ إلى الأبد، لأُوقف هذا الصوت الذي لا يرحم.

الشوارع هنا، يا صديقاتي، لم تعد شوارع، بل هي أنقاض تحكي قصص بيوت كانت عامرة، وأحلام كانت تُبنى. وكل قطعة حجر، كل زاوية مدمرة، تخفي تحتها ذكرى، وربما... ربما شيئًا أفظع. الأبصار هنا اعتادت على رؤية ما لا يجب أن تراه عين بشرية. الأشلاء. نعم، الأشلاء. كل يوم نُجبر على رؤية بقايا ما كان إنسانًا، جزءًا من روح، قطعة من وطن. كيف لنا أن نتحمل رؤية هذه المظاهر المروعة، ونستمر في التنفس، في العيش؟ أتساءل دائمًا: هل هذا هو معنى الصمود؟ أن تظل أرواحنا حية بينما أجزاءً منا تموت كل لحظة؟

والحياة في المخيمات... آه يا صديقاتي، المخيمات. لقد تحولت غزة كلها إلى مخيم كبير. آلاف البشر يتكدسون في مساحات صغيرة، بلا خصوصية، بلا ماء

كافٍ، بلا طعامٍ يسد الرمق، بلا دفء يحميهم من برد الليل أو حر الشمس. الأطفال هنا لا يعرفون معنى اللعب إلا وسط الركام، ولا يُميزون بين صوت العصفور وصوت الطائرة. أحلامهم تتقلص، وتُصبح أقصى أمنياتهم أن يمر اليوم بسلام، أن يجدوا مكانًا آمنًا للنوم.

أتذكر حديثكِ يا طيف عن سقوط الأندلس، وكم هو مؤلم أن نرى التاريخ يُعاد أمام أعيننا. وأتذكر ألمكِ يا نبأ من رؤية الأشلاء، وخجلكِ يا آزال من العجز. وأفهمكِ يا يُمنى حين تقولين أن القدس ليست بأفضل حال. كلنا ننزف، لكن جرح غزة الآن هو نزيفٌ لا يتوقف.

أنا هنا، أُقاوم كل يوم، أُحاول أن أجد في هذه الرسائل متنفسًا، بصيص أمل. كلماتكن هي الدواء الوحيد الذي يُمكن أن يُخفف من هذا الألم الذي لا يطاق. أرجوكنَّ ألا تتوقفن عن الكتابة، عن الدعاء، عن تذكرنا. فهذا هو أقصى ما نملكه الآن، أن نُبقي هذا الخيط الرفيع من التواصل حيًا، ليُذكرنا بأننا ما زلنا جزءًا من هذا العالم، وأن أرواحنا لم تُكسر بعد.

من غزة التي تئن تحت وطأة القصف، لكنها ما زالت تُقاوم .

بكل ألمٍ وصمودٍ وأملٍ يتشبث بالبقاء،

نوران.

من: شام، دمشق التي تتألم بصمت

إلى: نوران، غزة، يا قلبًا ينزف ولا يموت

نوران،

أقسم لكِ أنني حبستُ أنفاسي وأنا أقرأ رسالتكِ. كل كلمة فيها كانت كصرخة حارقة تُوقظ فينا ما نحاول أحيانًا أن نُخفيه خلف ستار الأمل. تصفين غزة، فأرى دمشق. تصفين القصف الذي لا يرحم، فأسمع صداه في أزقتنا التي تُصارع لأجل البقاء. لكن حديثكِ عن الأشلاء... يا نوران، هذا يفوق قدرتنا على التصور، ويفوق كل ما تصفه كلماتنا. كيف لأعينكم أن تتحمل رؤية هذا كل يوم؟ كيف لأرواحكم أن تظل حية بعد أن تشهد كل هذا الدمار والتمزق؟

تصفين الحياة في المخيمات، وكأن غزة كلها أصبحت مخيمًا كبيرًا. نتخيل هنا صعوبة فقدان البيت، فقدان الأمان، لكن أن تُصبح الحياة كلها تكتّلًا بشريًا يتوق لقطرة ماء أو لحظة هدوء، هذا يفوق كل وصف. أطفالكم الذين لا يميزون بين صوت العصفور والقذيفة... هذا ما يُمزق قلبي حقًا. أي مستقبلٍ ينتظرهم في ظل هذا الركام؟

شعرتُ بخجلٍ عميق، يا نوران. خجلٌ من عجزي، ومن عجز مدينتنا، وعجز عالمنا بأسره أمام كل هذا الهول. هل يمكن للكلمات أن تُشفي جراحًا بحجم غزة؟

لا أظن ذلك. لكنكِ محقة، هي بصيص نور، هي الخيط الرفيع الذي يُبقينا متصلين، ويُذكرنا بأن الروح لم تمت.

أعدكِ، وأعدكِ باسم كل صديقاتنا هنا، أننا لن ننسى غزة. لن ننسى صمودكِ. سنُبقي هذه الرسائل حيّة، وسنُبقي دعاءنا مرفوعًا، لأن إيماننا بكِ، وبقدرتكم على الصمود، هو ما يُشعل فينا شمعة الأمل في هذه العتمة. كوني قوية يا نوران، بقدر ما تستطيعين. فصمودكِ هو إلهام لنا جميعًا.

من دمشق، التي ما زالت تُعانق الياسمين رغم دموعها، أُرسل لكِ كل قوة الصمود، وكل الحب الذي لا يُمكن للحدود أن تُقيده.

بكل ألمٍ وتضامن،

شام.

من: آزال، صنعاء التي تتكئ على التاريخ

إلى: نوران، غزة، يا وجع الروح الذي لا يُنسى

نوران،

قرأتُ رسالتكِ، وأحسستُ بكل كلمة فيها، كأنها سهمٌ يُصيب القلب. كلامكِ عن القصف، عن الأشلاء التي ترينها كل يوم، عن الحياة في المخيمات التي أصبحت واقعًا لمدينتكم كلها... جعلني أبكي بصمتٍ لا صوت له. هل يُمكن لمدينتي صنعاء، التي شهدت من الأهوال الكثير، أن تتخيل هذا الحجم من الألم الذي تعيشونه؟

تتحدثين عن رؤية ما لا يجب أن تراه عين بشرية، عن أن أرواحكم تظل حية بينما أجزاء منكم تموت كل لحظة. يا نوران، هذا هي قمة الصمود، وقسوة الحرب في آنٍ واحد. كيف للإنسان أن يُقاوم كل هذا؟ من أين تستمدون هذه القوة التي تجعلكم تُجبرون على العيش؟ أتساءل إن كانت أمي وجدتي، اللتان عاشتا أهوالًا في الماضي، ستفهمان حجم الألم الذي تصفينه الآن!

وصمتي، وصمت مدننا جميعًا، أمام هذا الهول، هو ما يُمزقني حقًا. أنتِ محقة في خجلنا، خجل من العجز عن فعل شيء حقيقي. الكلمات، مهما كانت صادقة ومؤثرة، تبدو هزيلة أمام حجم الجرح الذي تصفينه. لكن ما تطلبينه منّا، أن نظل

نكتب وندعو ونُشارك، هو ما نتمسك به. هو الخيط الرفيع الذي يُبقينا متصلين، ويُذكرنا بأننا ما زلنا نُؤمن ببعضنا البعض.

أرسل لكِ من قلب صنعاء، التي ما زالت تحتفظ بعراقتها رغم كل الجراح، كل الدعوات الصادقة. ندعو لكِ، ولغزة، أن يُرفع عنكم هذا البلاء، وأن يأتي يوم ترين فيه بحركِ بلا سياج، وأشجار زيتونكِ تُزهر سلامًا. كوني قوية يا نوران، فصمودكِ هو نورٌ يُضيء لنا جميعًا في هذه الظلمة الحالكة.

بكل ألمٍ وتضامنٍ ودعاء،

آزال.

من: نبأ، بغداد الصامدة، وبالنيابة عن جميع الصديقات

إلى: نوران، غزة، يا قلبًا لا يلين

نوران، يا صديقة الروح،

وصلتنا رسالتكِ. وكل واحدة منا، قرأتها بقلبٍ يرتجف وروحٍ تتألم. كلماتكِ عن القصف الذي لا يتوقف، عن الأشلاء التي تُصبح جزءًا من المشهد اليومي، وعن الحياة القاسية في المخيمات... هذه ليست مجرد كلمات، بل هي صرخاتٌ حقيقيةٌ تخترق القلوب وتُوقظ الضمائر.

يا نوران، كيف لنا أن نفهم هذا الألم الذي تصفينه؟ رؤية الأشلاء كل يوم؟ التعايش مع الموت والفقد؟ هذه ليست حياة، بل هي جهادٌ يومي لا يُمكن لعقلٍ بشريٍ أن يتخيّله. نتحدث هنا عن تحدياتنا، عن انقطاع الكهرباء، عن صعوبة العيش، لكن ما تمرون به في غزة يفوق كل تصور. لهذا السبب، يزداد خجلنا وعجزنا؛ لأننا نشعر بضآلة كل ما يمكننا فعله أمام حجم هذا الهول.

لكن يا نوران، أريدكِ أن تُصدقي هذا: أنتِ لستِ وحدكِ أبدًا. صحيحٌ أن أيدينا قد لا تستطيع أن تصل إليكِ الآن، وأن أصواتنا قد لا تُغير واقع القصف. لكن قلوبنا، أرواحنا، دعواتنا، كلها معكِ. في كل صلاة، في كل همسة، في كل لحظة صمتٍ تغلّف مدننا، نحن نتذكركِ ونتذكر غزة.

لقد اتفقنا جميعًا، نحن أخواتكِ أننا لن نتركَكِ أبدًا. هذه الرسائل، هذا التواصل، هو عهدٌ بيننا. هو الطريقة الوحيدة التي نملكها لنُخبركِ أنكِ في عقولنا وقلوبنا. أن صمودكِ هو إلهام لنا جميعًا، وأن غزة يا نوران، هي بوصلة أرواحنا التي لن تضل الطريق.

كوني قوية، يا نوران، بقدر ما تستطيعين. فإن قوتكِ هي ما يزرع الأمل في قلوبنا نحن أيضًا.

من هُنا، من مُدننا الجريحة، حواضر التاريخ ومدائن العروبة، نُرسل لكِ كل الحب، وكل الصمود، وكل الدعاء.

بكل ألمٍ وتضامنٍ وعهدٍ لن ينتهي،

نبأ، بالنيابة عن جميع الصديقات.

من: نوران، غزة التي لا تزال تُقاوم

إلى: صديقات قلبي، ورفيقات دربي في كل مكان

صديقاتي، يا من تُشعل كلماتكن بصيص أمل في عتمة أيامي، وصلتني رسائلُكنَّ، كل واحدة منها كانت بمثابة روحٍ جديدة تُبث في جسدٍ أنهكه الألم. أشعر بكل كلمة كتبتنها، وبكل دمعةٍ ذرفتنها. لكن اليوم، لا أجد مفرًا من أن أصف لكُنَّ الوضع بدقة أكبر، ليس لأُزيد من ألمكن، بل لأنني أؤمن بأن معرفة الحقيقة، مهما كانت قاسية، هي الخطوة الأولى نحو أي تغيير.

الوضع هنا في غزة، يا صديقاتي، يتجاوز كل ما يُمكن أن تُصفه الكلمات أو تُحتويه الخيالات. لم يعد القصف مجرد صوتٍ بعيد. إنه رفيقنا الدائم، ينهال علينا من كل حدبٍ وصوب، لا يُميز بين ليلٍ ونهار، بين طفلٍ وشيخ، بين مسجدٍ ومستشفى. المباني لم تتهدم فقط، بل أصبحت ركامًا يُشير إلى حياةٍ كانت هنا، وإلى أحلامٍ سُحقت تحت الأنقاض. كل شارع، كل زاوية، كل حارة كانت تعج بالحياة، هي الآن مجرد أطلال تُخبئ تحتها قصصًا لا تُصدق من الفقدان والوجع.

والأفظع من هذا كله، هو مشهد الأشلاء. يا صديقاتي، أنا لا أتحدث عن أرقام أو إحصائيات. أنا أتحدث عن رؤية أجساد ممزقة لأطفال كانوا يلعبون بالأمس، لنساء كن يُجهزن طعامًا، لرجال كانوا يُحلمون بمستقبلٍ أفضل. أحيانًا، أرى هذه الأشلاء وهي تُنتشل، وأتساءل: كيف لقلبٍ بشريٍ أن يتحمل هذا؟ كيف لعينٍ

أن ترى هذا المنظر، وتظل قادرة على إبصار الجمال، أو حتى رؤية النور؟ إنه كابوسٌ يتكرر كل لحظة، يُلازمنا في صحونا ومنامنا.

حياة المخيمات تحولت إلى جحيمٍ آخر. لم يعد هناك مكانٌ آمنٌ في غزة. كل مكان أصبح مخيمًا، وكل خيمة هي مأوى مؤقت لا يُوفر سوى القليل من الحماية. نُعاني من نقصٍ حاد في كل شيء: الماء، الطعام، الدواء. الأطفال ينامون على الأرض الباردة، لا يملكون غطاءً يُدفئهم، ولا دواءً يُخفف ألمهم. وأحيانًا، حتى هذه الملاجئ المؤقتة تُقصف، تُحرق، وتُصبح مقابر جماعية. فماذا نفعل حينها؟ إلى أين نذهب والمدينة كلها تُحرق؟

تتحدثون عن الخجل والعجز، وأنا أفهم هذا الشعور جيدًا. لكن يا صديقاتي، في وسط كل هذا الدمار، لا تملك غزة سوى إيمانها وصمودها. ولهذا، أطلب منكن طلبًا، ليس لنفسي، بل لأجل كل روحٍ هنا، لأجل كل طفلٍ فقد بيته، وكل أمٍ فقدت طفلها.

أولًا: اثبتن. اثبتن على الحق، وعلى إيمانكن بأن غزة ستنتصر يومًا. لا تدعن اليأس يتسلل إلى قلوبكن، فصمودكن هناك هو جزء لا يتجزأ من صمودنا هنا. تذكرن دائمًا أنكنَ تحملنَ نورًا في أيديكنَ، نور الوعي، نور العزيمة.

ثانيًا: لا تتوقفن عن الدعاء. في كل صلاة، في كل سجدة، ارفعن أيديكن لغزة وأهلها. فالدعاء سلاح المؤمن، وهو يُشكل درعًا روحيًا لنا هنا، ويُمدنا بقوة لا يعلمها إلا الله.

ثالثًا والأهم: لا تتوقفن عن المقاطعة. المقاطعة، يا صديقاتي، هي صوتكنَ، وهي فعلكنَ الحقيقي الذي يُمكن أن يُحدث فرقًا. إنها تُرسل رسالة واضحة بأننا لن نُشارك في دعم من يُدمرون حياتنا وأحلامنا. إنها قوة الصامت التي تُزعزع عروشهم. لا تظنن أن تأثيرها قليل، بل هو سلاحٌ فعّالٌ يُؤلمهم في المكان الذي يُؤلمهم أكثر: اقتصادهم.

من غزة التي تُحرق كل يوم، لكنها ما زالت تنبض بالحياة وتُقاوم، أُرسل لكُنَّ كل الأمل، وكل الدعاء، وأُجدد الوعد بأننا لن نُكسر. كونن قوية، وكونن صوتًا لنا.

بكل ألمٍ، وصمودٍ، وعهدٍ بالانتصار،

نوران.

من: شام، دمشق الحزينة

إلى: نوران، شهيدة غزة

يا نوران... يا قرة عيوننا، ويا وجع قلوبنا...

وصلتنا رسالتكِ، وقرأناها حرفًا حرفًا، وكل حرفٍ كان سكينًا يطعن في أعماقنا. لا نُصدق أعيننا، كيف أمكنكِ أن تكتبي كل هذا الألم، وهذا الصمود، وهذه الحياة التي تتألم وتُقاوم... ثم... ثم ينتهي كل شيء؟!

يا الله! لقد استشهدت نوران! نوران التي كانت تكتب لنا من غزة التي لا تزال تُقاوم... نوران استشهدت في القصف على غزة! هذه الكلمات تُحرقنا، تُفقدنا القدرة على التنفّس.

كيف يمكن لشمس دمشق أن تشرق اليوم، ونوران قد غابت شمسها؟ كيف لقلوبنا أن تتحمل هذا الفقدان؟ نوران... التي كانت تتحدث عن الأشلاء، عن الأطفال، عن الخيام التي تُصبح مقابر... ها هي الآن جزء من تلك القصص الموجعة!

كنتِ تتحدثين عن الصمود، عن الإيمان، عن الدعاء، عن المقاطعة... وكأنكِ كنتِ تكتبين وصيتكِ الأخيرة لنا. نُقسم لكِ يا نوران، أن كلماتكِ لن تموت. ستبقى محفورة في قلوبنا، تُحرّكنا، تُشعل فينا نار الغضب والأمل في آن واحد.

قلتِ: "اثبتن"... "لا تتوقفن عن الدعاء"... "لا تتوقفن عن المقاطعة"... يا نوران، كيف سنثبُت وقلوبنا تتمزق على رحيلكِ؟ كيف سندعو وأصواتنا مخنوقة بالدموع؟ كيف سنقاطع وأرواحنا معلّقة هناك على القذيفة التي أخذتكِ منا؟

لكننا نعرفكِ جيدًا. كنتِ قوية، حازمة، مليئة بالحياة حتى في أشد الظروف. ولهذا، سنُجاهد لنثبُت، سنرفع أيدينا بالدعاء حتى آخر نفس، وسنواصل المقاطعة بكل ما أوتينا من قوة. ليس فقط لأجلكِ، بل لأجل كل روح طاهرة سقطت في غزة، ولأجل كل طفل يُحلم باللعب في شوارعها.

نامي بسلامٍ يا حبيبتنا. نامي بسلام، فقد أدّيتِ رسالتكِ كاملة. غزة لم تُكسر، وأنتِ لم تُكسري. روحكِ ستُحلّق حُرة في سماء القدس التي كنتِ تحلُمين بزيارتها يومًا ما. ستُحلّق حُرة في سماء عروبتنا العريقة، حرة فوق سماء دمشق وبغداد وصنعاء وقرطبة ومأرب.... حُرة للأبد.

بقلبٍ يئن وجعًا، وأرواحٍ تتعهد بالوفاء،

شام وصديقاتها، من دمشق التي تبكيكِ.

الخاتمة

وفي نهاية هذه الرسائل، لا يبقى سوى صدى الكلمات التي حملت أوجاعًا وآمالًا، وشهاداتٍ نُقشت بدماءٍ زكية على تراب غزة. لقد كانت رحلةً عبر الألم والصمود، حيث التقت القلوب وتوحدت الأرواح، لتُشكل معًا لحنًا خالدًا يُردده التاريخ.

فلتكن هذه السطور ليست مجرد قصةٍ تُروى، بل صرخة حقٍ تُوقظ الضمائر، وعهدًا بأن غزة ستبقى في الذاكرة والوجدان، وأن فجرًا جديدًا لا بد أن يُشرق على أرضها المباركة.

الإهداء ٣

المقدمة ٤

الرسائل 6

الخاتمة ٦٠